وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

أثر القصة القرآنية في غرس القيم الاجتماعية وعلاج الانحراف السلوكي

(سورة الكهف نموذجاً)

اسم الباحث/ـة

أ.د/ عبد القادر داودي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وسواه وعدل تركيبه وتكوينه، وأنعم عليه بالفهم والبيان وكرمه بالعقل وميزه بالفكر والنظر وسخر له ما في السماء والأرض ليكون خليفة فيها بالصلاح وفعل الخيرات لا بالفساد وفعل المنكرات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله المبعوث بالكتاب والحكمة ومحكم الآيات يتلوها عليهم، يزكيهم بها ويعلمهم، ليتمم مكارم الأخلاق ويهدي لأحسن الفضائل وأجمل الشمائل فكان حقا كما قال عنه ربه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾القلم.

هذا وإن من أبرز أساليب القرآن الكريم في غرس الفضائل والقيم الاجتماعية أسلوب القصة الهادفة للتدبر والاعتبار في سير الأولين ومصير الغابرين فنجتنب ما اقترفوه من مساوئ وأخطاء، ونقتدي بما فعلوه من محامد ومحاسن، ونتعظ بمصير الهالكين منهم، ونسير على درب المصلحين الموفقين في فعل الخير.

ومن بديع القصص القرآني ما ورد في سورة الكهف حيث تعددت قصصها وتنوعت مشاربها واختلفت صورها وأهدافها ومواضيعها لتشكل نسيجا تربويا بديعا في الإصلاح الاجتماعي والسلوك الفردي بغرس الفضائل ونبذ الرذائل، هو ما يهدف البحث لاستخلاصه واستثماره وفق المنهج التحليلي الوصفي المتبع، تجسيدا لمنهج تفعيل الهدايات القرآنية واستثمارها في مختلف المجالات لربط كل وحوه الإصلاح بالقرآن الكريم الهادي للتي هي أقوم.

وقد جاء البحث في: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

مقدمة: أهمية القصة القرآنية في غرس القيم الاجتماعية.

المبحث الأول: سورة الكهف: محاور التربية والإصلاح.

المبحث الثاني: فتية مؤمنون مستضعفون وسط بيئة فاسدة.

المبحث الثالث: حوار بين نفس مؤمنة وزائغة أغواها المال والولد.

المبحث الرابع: رحلة نبي وحكيم (حوار تربوي بين عالمين).

المبحث الخامس: سبل مواجهة الفساد في الأرض (حين يجتمع العلم والقوة).

الخاتمة: أهم نتائج البحث والتوصيات.

مقدمة:

تعتبر القصة أحد المحاور الكبرى التي أخذت حيزا واسعا من مواضيع القرآن الكريم مكيّه ومدنيّه على السواء، مع تعدد مواضيعها وتنوع أساليبها واختلاف صورها وأشكالها وأغراضها ومقاصدها، حتى أخذت نسبة مهمة وعالية وحظاً وافراً منه فصبغت معظم سوره، وتزينت القصة وشرفت بحضورها المتكرر في كتاب الله تعالى تأكيدا لفضلها وأهميتها في التبليغ والبيان، ومكانتها في التربية والإرشاد وبناء المبادئ، والقيم الحضارية ،والاجتماعية والإنسانية.

بل وتعددت القصص حتى في السورة الواحدة وتنوعت، وذلك نظراً لأهميتها في أداء الدور التربوي والتعليمي والإصلاحي المتعلق بالسلوك الاجتماعي أو التزكية القلبية وتطهير النفس من مختلف الرذائل العقدية منها والأخلاقية ونجاعة منهجها في التحلية والتخلية لحاجة النفس الإنسانية لنماذجَ واقعيةٍ وأمثلةٍ حقيقيةٍ يستعين بها المرء على الإقلاع عن الرذائل أو التحلي بالمناقب والفضائل، وتأخذ بيده نحو سبيل الرقي في مدارج السمو الروحي والعملي، أو تنقذه من براثن العثرة والسقوط في أوحال الشرك والرذيلة أو مخالفة الفطرة السليمة ومضاهاة البهيمية المقيتة التي انحدرت لقاعها كثير من المجتمعات الإنسانية القديمة منها والمعاصرة.

المبحث الأول: سورة الكهف: محاور التربية والإصلاح

التعريف بسورة الكهف[1]:

هي سورة مكية نزلت جملة واحدة ومعها سبعون ألف ملك، تعد السورة الثامنة والستين من حيث ترتيب النزول، بعد سورة الغاشية وقبل الشورى، عدد آياتها خمس ومائة آية على العد المدني والمكي أو مائة وعشر آيات وعدد كلماتها ألف وخمسمائة وسبع وخمسون كلمة، وستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا. أما موقعها من المصحف الشريف فهي وسط القرآن، جمعت بين نهاية الجزء الخامس عشر وبداية الجزء السادس عشر، وذكر كثير من علماء القرآن أن نصف عدد حروف القرآن قد وقع بالسورة أيضا على اختلاف في تعيين الحرف فقيل التاء في قوله تعالى (وليتلطف) وقيل النون في قوله تعالى:(لقد جئت شيئا نكرا). فهي تمثل نصف القرآن الكريم في عدد حروفه وفي تقسيم أحزابه وأجزائه، ومناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد؛ نحو: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾الحجر،﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ النصر، وسبحان الله وبحمده[2].

سبب نزولها:

ذكر جماعة من المفسرين أن قريشاً بعثت بعض رجالها إلى أحبار اليهود يسألونهم عن دعوة محمد ﷺ، لأنهم أهل كتاب وعندهم من العلم ما ليس

---

(1) التحرير والتنوير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ ، ٢٤٣/١٥، معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، جامعة أم القرى – مكة المرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)مطبعة الترقي – دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥م، ١٦٢/٤، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ١٨٩/٨.

(2) أسرار ترتيب القرآن،جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ص ١٠٥.

عندهم، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّلٌ فَرُوا فيه رأيَكم، سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهرِ الأولِ ما كان أمرُهم؟ فإنهم قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ، وسلوه عن رجلٍ طوَّافٍ قد بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ما كان نبؤه؟، وسلوه عنِ الروحِ ما هي؟، فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّلٌ فاصنعوا في أمرِه ما بدا لكم....فجاءوا فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب؟، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها.....فقال لهم رسول الله ﷺ :" أخبركم بما سألتم عنه غدا ". ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث خمسة عشر ليلةً لا يُحدثُ الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريلُ، حتى أرجفَ أهلُ مكةَ، وقالوا وَعدَنا محمدٌ غداً، واليوم خمس عشرة ليلةً، وأحزن رسولَ الله ﷺلمكثِ الوحي عنه، وشقَّ عليه كلامُ أهلِ مكةَ، ثم جاء جبريل عليه السلام من عند الله تعالى بسورة أصحاب الكهف....[1]

مضامين السورة:

تناولت سورة الكهف عبر آياتها المائة والعشر مجموعة من المواضيع المتناسقة **يمكن أن نلحظ منها ما يلي:**

١. افتتاح السورة بحمد الله تعالى والتنويه بالقرآن الكريم مع إنذار المعاندين وبشارة المؤمنين وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا.

٢. ذكر خبر أصحاب الكهف وما جرى لهم من قومهم ولجوئهم للكهف فرارا بدينهم ثم لبثهم فيه مئات السنين وبعثهم واختلاف الناس في شأنهم.

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ٢٤٩.

٣. التحذير من الشيطان وعداوته لبني آدم ليكونوا على حذر من كيده

٤. قصة موسى مع الخضر وتسجل رحلة ممتعة في طلب العالم وحوار شيق بين متعلم تواق للمعرفة وعالم أوتي علما خصه الله به.

٥. ضرب مثل صاحب الجنتين جاحد للنعمة مع مؤمن شاكر.

٦. قصة ذي القرنيين (وهو سفر لبسط سلطته على الأرض مؤيداً بما آتاه الله من قوة).وقد تخلل تلك الموضوعاتِ الكبرى مستطرداتٌ وتعقيباتٌ متنوعةٌ منها إرشاد الرسول ﷺ وتثبيته ــ وهو أحد مقاصد سرد القصص القرآني ــ والوعد والوعيد وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها وما يعقبها من البعث والنشر، والتذكير بعواقب الأمم السابقة المكذبة بالرسل، ثم اختتام السورة بإبطال الشرك ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بالنعيم المقيم ثم التأكيد أن القرآن وحي من الله ليكون اختتامها كابتدائها ويُردُّ العجُزُ على الصدرِ[١].

(١) التحرير والتنوير ١٥/٢٥٨.

المبحث الثاني: فتية مؤمنون مستضعفون وسط بيئة فاسدة:

ملخص القصة:

تبتدئ القصة من الآية التاسعة من قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾إلى الآية السادسة والعشرين: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾، فسيقت القصة في ثماني عشرة آية وأحاطت بكل التساؤلات التي أثارها القوم عن الفتية الذين أووا إلى لكهف وسبب فعلهم ومدة لبثهم، وموقف قومهم بعد بعثهم، ورَفعتْ كلَّ إشكالٍ وجلّت كلَّ مُبهمٍ وأبانت كلَّ غموضٍ،

فصارت القصة واضحة جلية من كل جوانبها وأطوارها وأطرافها يعايش قارئها أحداثها وكأنه يراها متجلية أمامه رأي العين.

لقد بدئت القصة بالاستفهام التعجبي للإشارة إلى عظم آيات الله وقدرته التي هي أجل وأعجب من قصة أصحاب فإن إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف؛لأن في إنامتهم إبقاء للحياة في أجسامهم وليس في إماتة الأحياء إبقاء لشيء من الحياة فيهم على كثرتهم وانتشارهم. وهذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبيء ﷺبيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب، بأنهم سألوا عن عجيب وكفروا بما هو أعجب، وهو انقراض العالم، فإنهم كانوا يعرضون عن ذكر فناء العالم ويقولون: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾الجاثية،وفيه لفتٌ لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبر والأسباب وآثارها(١).

فساد أكثر الناس ليس مبرراً لفساد غيرهم:

فحتى لو كان أغلب الناس على غواية أو ضلال فإنه لا عذر للناس في ترك

(١) التحرير والتنوير ٢٥٩/١٥.

الحق واقتراف المنكرات بحجة فعل وسلوك أغلب الناس ذلك، فهؤلاء الفتية على شدة ضعفهم وقلة عددهم لم يمنعهم ذلك من الإيمان والصلاح ومجابهة الفساد، بل أصروا على الصلاح وترك الفساد ولو كلفهم ذلك الإخراج من البلد والمطاردة والأذى، فهذه الفئة الصالحة يمكنها أن تكون نواة إصلاح أخلاقي وتغيير اجتماعي متى استقامت وأخلصت وصدقت وبذلت كل ما تملك لأجل تعليم الناس الخير قصد نفعهم وهدايتهم واختارت لذلك أفضل السبل وأحسن المناهج في التربية والإصلاح، وقوة الحق ستغلب كثرة الباطل.

فعن أبي الطفيل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:﴿لا تكونوا إمّعةً تقولون إنْ أحسنَ الناسُ أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسَكم، إنْ أحسنَ الناسُ أن تُحسنوا وإنْ أساءوا فلا تَظلِموا﴾(١).وقال عبد الله: «لا يكون أحدكم إمعة»، قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: «إنما أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنْ أحدُكم نفسَه على إنْ كفرَ الناسُ أن لا يَكفر»(٢).

فقلة الصلاح والصالحين وكثرة الفساد والمفسدين يحمل أهل الصلاح على مزيد من الجهد التربوي لإصلاح المجتمع وليس مبررا للاستسلام والركون للدعة والراحة وترك أي محاولة لتغيير المنكر الواقع بله القبول به والانخراط فيه ومعاونة أهله عليه بحجة العجز عن مجابهته والصبر على مواجهته.

-العزلة وسيلة من وسائل التربية:

دل قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾الكهف، على اعتزال الشر، أو عند العجز أو الخوف من الافتتان والإكراه على الكفر. وهذا يختلف بحسب

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب الإحسان والعفو، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٢٠٠٧).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٢).

أحوال الناس وظروفهم وطاقتهم سواء تعلق الأمر بعموم المجتمع أم بالفئة الصالحة أو الفرد الواحد منها، فلكل حالة حكمها الذي يناسبها بما يحقق مقصد الشرع وواجب التبليغ مع أمن المحافظة على الدين.

ففي بعض الأحوال تكون العزلة وسيلة ناجعة من وسائل التربية والإصلاح لمن يريد الارتقاء بالنفس إلى معالي الدرجات، أو لمن يريد الفرار من بيئة يخشى فيها على نفسه من الانحراف والغواية، أو العودة للرذيلة بعد مفارقاها واجتنابها تأثراً بالمحيط والوسط الفاسد الذي لا يقوى على مقاومة إغرائه وإغوائه.

العزلة بين القلب والجسد: والعزلة على ضربين، قلبية روحية فقط، وعزلة قلبية وجسدية جمعت بين الروح والبدن معاً.

–العزلة القلبية: وأول مراتب العزلة اعتزال الشر وأهله بالقلب والعمل حتى وإن كان الجسد بين أظهرهم، وهذا واجب كل إنسان، لأنه في مقدوره واستطاعته ولا عذر له في الرضا القلبي بالمنكر، ولذلك جاء في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺقال:﴿من رأى منكم منكرا فليغيرّه بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمان﴾[1].فأدنى درجات الإيمان الإنكار القلبي للمنكَرِ بأنْ يكرهَ ذلك الفعلَ بقلبِه، ويَعزم على أنْ لو قدرَ على التغييرِ لغيَّرَ[2].

–العزلة القلبية والبدنية:

وثاني مراتب العزلة ما كان بالقلب والجسد معاً، وهي نوع من الهجرة الحسية والمعنوية التي سلكها كثير من المرسلين والمصلحين، وقد جسدها الرسولﷺ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١٨٦)، وأبو داود فيسننه، متاب الصلاة، باب الخطبة يوم العيد (١١٤٢).والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب (٢١٧٢).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي(١/ ١٥٠).

قبل البعثة في خلوته بغار حراء[1]، وفي هجرته من مكة إلى المدينة بعدما لاقى من أذى المشركين وصدهم وتنكيلهم به وبأصحابه وإصرارهم على كفرهم ومحاربتهم للمؤمنين[2].

وهذه العزلة هي التي جسدها أصحاب الكهف فرارا بدينهم وخوفا من بطش قومهم أن يرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم وهو ما يظهر في حكاية القرآن عنهم ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف،أي اعتزلتم أجسادهم واعتزلتم ما يعبدون من دون الله، فجمعوا بين اعتزال الفعل واعتزال الفاعل أو اعتزال المنكر وفاعله معا.

-الأثر التربوي للعزلة:

للعزلة فوائد دينية ودنيوية حصرها الغزالي في ست فوائد[3]:

الأولى: التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله.

الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها.

الثالثة: الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها.

الرابعة: الخلاص من شر الناس: فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب بدأ الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٣) ٧/١. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم (٤٢٢)٩٧/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٥).

(٣) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥، ص٦٨٦. وذكر بعدها سبع فوائد للمخالطة وهي عكس العزلة ليؤكد أن كلا منهما له دور تربوي إذا وظف توظيفا حسنا. وانظر في اختلاف الناس في المفاضلة بين المخالطة والعزلة، الآداب الشرعية لابن مفلح ٤٤٩/٣.

فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدّخرونها لوقت تظهر فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك.

الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس.

السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم.

-فضل مخالطة الصالحين ومصاحبتِهم في التربية[1]:

من الوسائل التربوية الناجعة في غرس القيم الفاضلة أو التخلص من الأوصاف الذميمة أو العادات السيئة على مستوى السلوك العملي أو التوجه القلبي مخالطة الأخيار ومصاحبة الأطهار ممن زكت نفوسهم وصفت قلوبهم وعلت هممهم وصلحت سرائرهم واستقامت ظواهرهم على مقتضى الشريعة والفضيلة، لأن النفوس تواقة للاقتداء بالمقامات العالية والاهتداء بها والتعلم منها والأخذ من سمتها وأدبها ونصحها وإرشادها وتوجيهها، وقد خلد القرآن الكريم ذكر كلب صحب الفتية الأطهار الذين اختاروا الصلاح والرشد فنال معم شرف الذكر وشملته الرحمة ومعجزة النوم بالكهف والبعث بعد مئات السنين.

فإذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العالية بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله بذلك في كتابه فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، ....كلب أحب قوما فذكره الله معهم، فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام وحُبُّ النبي عليه الصلاة والسلام**!**.

وعليه فإن مما يعين على الإقلاع عن المساوئ والآفات والتخلص من الرذائل والمنكرات، أو التحلي بالفضائل وتحقيق المعالي مصاحبة الأخيار واختيار الجلساء الأطهار والأخذ من علمهم وسمتهم والتحلي بسيرهم وأخلاقهم، ولذلك أثنى الرسول ﷺعلى الجليس الصالح وذم جليس السوء فقال: ﴿مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٢/١٠.

يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة ﴾[1]. ولذلك كان من العقوبة أن يحرم المرء مِنْ رزقِه النافع في مجالسة الصالحين والعلماء المنكرين للذنوب..[2].

تعقيبات وتوجيهات تربوية على قصة أصحاب الكهف:

ختمت قصة أصحاب الكهف ببعض التعقيبات والتوجيهات التي يمكن اعتمارها استثماراً لغرض

القصة وتحقيقاً لمقصود سوقها في الآيات الخمس التالية (الآية ٢٧- ٣١) كخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته تبع له بأمره بتلاوة ما أوحي إليه من ربه، والصبر مع المؤمنين وعدم الإعراض عنهم، والتحذير من طاعة من أُغفِل قلبه عن ذكر الله

ثم بيان مصير الظالمين وسوء حالهم في الآخرة، ثم وعد الله للمؤمنين الصالحين وما أعده الله لهم من نعيم مقيم.

وفي ذلك تتويج لما جاءت القصة لترسيخه وتوكيده ببيان قدرة الله تعالى على الإماتة والبعث، وفضل مصاحبة الصلحاء والأخيار والحرص على مجالستهم وخفض الجناح لهم، ثم ثواب وجزاء مل عامل على عمله وكسبه خيراً كان أو شراً.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب في العطار وبيع المسك (٥٥٣٤)، مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٦٨٦٠).

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٤/٥٤.

المبحث الثالث: حوار بين نفس مؤمنة وزائغة أغواها المال والولد:

من الأساليب التي حفل القرآن الكريم بها أسلوب الحوار الذي تعددت صوره وتكررت في مختلف السور ومع شتى المواضيع لترسيخ المعنى وتثبيت الفكرة وتقوية الحجة، وقد سيقت كثير من القصص في شكل حوار شيق لأجل تقريب المعاني من الأذهان، وتصوير القيم الخالدة تصويرا رائعا يؤثر في السامع أو القارئ فيجعله منساقا متفاعلا أو منقادا مستسلما. فمتى انضاف الحوار لعناصر التصوير تكتمل الصورة وتستوي كل عناصر التخييل؛ فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر..

-حقيقة الحوار:

الحوار في اللغة من الحور، وهو الرجوع، أصل الحور الرجوع إلى النقص، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة ... وإنه لضعيف الحور أي المحاورة، والمحاورة والحوار والتحاور كلها بمعنى[1].

فالحوار إذن هو مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو لتقريب وجهات النظر.

-الأهداف التربوية للحوار:

يراد بالحوار تحقيق جملة أهداف تربوية وتعليمية ومنها[2]:

التعليم أو التربية والإصلاح والدعوة إلى الله.

دفع الشُّبه وإقامة الحجج والبراهين. توضيح ما أشكل ورفع اللبس والأوهام عن بعض القضايا. تقريب وجهات النظر وتضييق هوة الخلاف بين المتحاورين.

---

(١) لسان العرب لابن منظور(٤/ ٢١٧)

(٢) الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام، أحمد محمد الشرقاوي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي بجامعة الشارقة ص ٧.

-حوار صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن:-

ومن ذلك قصة الرجلين اللذين يملك أحدهما جنتين من أعناب، وذلك الحوار الرفيع بين غافل عن الحق ظالم لنفسه دفعته غفلته إلى أن يعتز بماله ورجاله، ودخل جنته وهو يفخر بما يملك، وينظر نظرة صغار واحتقار لصاحبه المؤمن، ويقف المؤمن وقفة إيمان ونصح، ويقول له:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾الكهف.إنه أروع تصوير، وأجمل تمثيل وأصدق تعبير عن الحياة في مظاهرها، وعن الإنسان في قصور نظره وعجزه وضعفه(١).

فكل طرف حاور صاحبه وخاطبه بما كان يعتقده حقًّا وصوابًا منطلقًا من اعتقادِه وتصورِه، وهما على طرفي نقيضٍ...

أما الأول فخاطب صاحبه بلغة المستكبر والمفتخر على صاحبه بكثرة المال وقوة العشيرة وشجاعة رجالها، والمستغني بما يملك من جنتين ضمتا صنوفا من النخيل والعنب وزرع، ومعها مال كثير من نقد وأنعام، فاغتر بذلك وظن أن ماله دائم لن يزول فكفر بالله وأنكر قيام الساعة....

وأما صاحبه الثاني فردَّ عليه وأنكرَ عليه كفرَه بالله الذي خلقَه وأنعمَ عليه فجحد نعمه وكفر بها...

وسواء كانت هذه القصة واقعة حقيقية على عهد الرسول ﷺ أو في الأمم السابقة وهو الذي مال إليه أغلب أهل التفسير، أو كان مثلاً ضربَه الله عز وجلَّ على غرارِ كثيرٍ من أمثال القرآن الكريم المسوقة لأجل النظر والاعتبار

(١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، ص ٢٥٦.

واستخلاص العبر واستنهاض الفكر ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾العنكبوت﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾الحشر، فإن النتيجة واحدة والغرض لا يختلف بين الحالين.

فضرب الله مثلا للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبا مؤنقا وحال الآخر بخلاف ذلك فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة تباباً وخسارة، وكانت عاقبةُ الآخرِ فوزا ونجاحاً، ليظهر للفريقين ما يجرّه الغرورُ والإعجابُ والجبروتُ إلى صاحبِه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح(١).

وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه كما سلبت النعمة عن قارون حين قال:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾القصص، وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة لأنها تجمع قوما يرونهم أحط منهم وطلبوا من النبيء صلى الله عليه وآله وسلم طردهم عن مجلسه(٢).

دروس من القصة:

أفادت قصة ذي الجنتين مع صاحبه من خلال الحوار الذي دار بينهما جملة **من الدروس التربوية منها:**

١. اعتماد الحوار وسيلة لترسيخ الفكرة وإثباتها أو دفع الشبهات وإبطالها،

٢. إن الحوار قد يستخدم في الحق أو الباطل، فكما يستعمل للاستكبار والاستعلاء والافتخار فيكزن جدالا بالباطل، يستخدم لإعلاء الحق وإظهاره ودحض الباطل وإنذار صاحبه.

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٣١٥)

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٢٨)

٣. تذكير الإنسان بضعفه وافتقاره إلى ربه مهما ملك من ثروة ومال فهي معرضة للزوال.

٤. إن امتلاك المال فضل من الله يستوجب شكره وطاعته وليس جحده والكفر بنعمته.

٥. التحذير من الاغترار بالمال والبنين لأنه من أسباب هلاك الأمم، والأفراد وزوال النعم وسلبها.

٦. التحذير من عواقب كفران النعم وجحودها فإنها مؤذنة بالنقم وعذاب الله ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾الكهف.

٧. ترسيخ خلق التواضع والإشادة بنبل صاحبه وجودة معدنه وكريم أصله ولذلك أثنى الرسول على المتواضعين كما في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺقال:﴿ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله﴾(١). فالإنسان ترتفع مكانته وتعلو منزلته بالتواضع وليس بالكبر، فقد نبه الرسولﷺأمتَه على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا، وأن ما كان عند الله فيمنزلة الضعة، فحق على كل ذي عقل الزهد فيه وقلة المنافسة في طلبه، وترك الترفع والغبطة بنيله، لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل..(٢).

-التعقيبات القرآنية على القصة:

أعقب الحوار بين الصاحبين بجملة من الاستطرادات والتعقيبات تشكل توجيهات تربوية ذات علاقة بالقصة السابقة تمثل عبرا مستخلصة ودروسا مستفادة وفوائد مستقاة من تلكم القصة من الآية ٤٥ حتى الآية ٥٩.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب،باب استحباب العفو والتواضع (٦٧٥٧). والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع (٢٠٢٩).

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال (١٠/ ٢١٢).

إذ يضرب مثلا للحياة الدنيا كلها. فإذا هي كتلك الجنة المضروبة مثلاً قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار،وبعد أن يلقي مشهد الحياة الذاهبة ظله في النفس يقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التي يتعبدها الناس في الأرض، والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام.

ثم التذكير ببعض مشاهد يوم القيامة وعرض الأعمال على أصحابها وحسابهم عليها

التذكير بعداوة إبليس لآدم وذريته.

التذكير بعاقبة القرى الظالمة وهلاكهم بسبب ظلمهم.

المبحث الرابع: رحلة نبي وحكيم (حوار تربوي بين عالمين).

وهذه من أجمل القصص وأكثرها تشويقاً ومتعة، تضمنت أحداثا تجمع بين الغرابة والتشويق والإثارة الذي يميز القصة القرآنية خاصة، تبدأ من رحلة موسى وفتاه في البحر بحثا عن مكان تواجد من يطلب الوصول إليه ومصاحبته طلبا لعلمه، ثم لقاء موسى الرجل الذي يطلبه ومصاحبته في رحلة تضمنت ثلاثة حوادث تبدو غريبة في ظاهرها وتنتهي بتفسير الخضر للحوادث التي لم يصبر عليها موسى. من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾...إلى غاية قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾، وقد جاءت بعض تفاصيل القصة في السنة النبوية وبينت بعض ما وقع مجملا في القرآن(١).

-رحلة بحث عن عالم:

حينما علم موسى بوجود من هو أعلم منه على الأرض التمس مقابلته وسأل عن سبيل الوصول إليه ولقائه فدُلَّ على موضعٍ بمجمع البحرين وأعطي علامة على من يرغب في طلبه وهو فقدان الحوت على ما هو مبين في الآيات والأحاديث النبوية.

وقد تضمن هذا الجزء الأول من القصة جملة من الدلالات والإشارات التربوية منها(٢):

- تشوف نفس موسى الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم ولقاء الأعلم ليسأله سؤال الذليل بكيف السبيل.

---

(١) ينظر تفصيل القصة عند البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١٢٢) ١/٣٥، وكتاب التفسير، باب {وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا} (٤٧٢٥)، وباب قوله: {فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا}(٤٧٢٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/١١، فتح الباري لابن حجر ٢٧٥/٨.

– فضل الارتحال في طلب العلم وعلو همة طالب العلم وقوة عزمه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين)

– اغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم وغلبت الشقة للوصول إليهم.

– رحلة العالم في طلب الزيادة من العلم والمعرفة، وأن طلب العلم لا يقتصر على التلميذ المتعلم.

– الاستعانة بالخادم والصاحب في قضاء الحوائج في الأسفار وغيرها.

– حسن أدب المتعلم وتلطفه مع معلمه واستئذانه في إرادة الطلب ورغبة المصاحبة.

– إن المتعلم تبع للعالم وإن علت منزلته وارتفعت مرتبته.

–رحلة علمية صحبة عالم رباني أوتي علم الباطن:

وقبل الشروع في الرحلة عرض موسى على الخضر أن يتبعه ليتعلم منه ما أوتي من علم وحكمة، فأخبره بأنه لن يستطيع معه صبرا لأن ما سيراه لم يحط بعلمه ولم يؤت خبره فكيف يصبر عليه؟ فأصر موسى على متابعته ووعده بأنه سيجده إن شاء الله صابرا ووعده بالتزام طاعته وعدم مخالفة أمره، فاشترط الشيخ على من يريد التعلم منه ترك سؤاله عن أي شيء سيفعله حتى يتولى هو تفسيره له نفسه فقبل الشرط وانطلقا معا...

وقد ذكر في القصة ثلاثة حوادث لم يصبر معها موسى أن يتكلم مع الشيخ منكرا تصرفه ومستغربا صنيعه وهو يذكره بما قاله له سلفا بعدم استطاعته الصبر معه لتكون الثالثة سببا للفراق بينهما، ليتولى الشيخ بعد ذلك بيان ما لم يستطع الصبر عليه وتفسيره له بما أوتيه من علم الباطن الذي لم يعلمه موسى.

–أهمية السؤال في العملية التعليمية:

من أهم وسائل التربية والتعليم التي تؤكدها القصة طرح المتعلم السؤال على العالم وهو ما تكرر في هذه القصة كثيراً حيث استعمل موسى السؤال ليصل

إلى الخضر كما استخدمه في اتباعه الخضر والتعلم منه لتحقيق أغراض منها: الاتباع، والتعلم الراشد.

إن أسئلة نبي الله موسى المتكررة هي التي جعلت الخضر عليه السلام لا يجد مناصاً من تبيين حكمة ما فعل لموسى عليه السلام، وهذا يدل على فاعلية السؤال وقوة تأثيره في القصة، إذ أثمر معرفةً وفهماً وتفسيراً لأمور كانت أسبابها غير معروفة وغير ظاهرة للعيان.

كما أن التزام المتعلم بعدم سؤال المعلم فيما لا يجب أن يسأل فيه من الأسباب المؤدية إلى استمرار العلاقة بين المعلم والمتعلم وقوتها، فالاستخدام الحكيم للسؤال يدل على أهمية السؤال في تحقيق الهدف المتقدم وغيره من الأهداف التعليمية والتربوية الإيجابية(١).

-توجيه المتعلمين بعدم التعجل في طرح الأسئلة:

فمن حق المعلم -كما بيّن القرآن الكريم - أن يوجه تلاميذه إلى عدم التعجل في طرح أسئلتهم وأن يتريثوا ويصبروا حتى يفرغ مما هو بصدده ثم يسألوا بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ قال الشيخ السعدي: "من فوائد هذه الآية أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها أو لا يدركها ذهنه، ويسأل سؤالاً لا يتعلق بموضوع البحث(٢).

-ركوب السفينة وخرقها:

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم،

---

(١) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم،أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة السنة الثالثة والثلاثين - العدد ١١١ - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.(ص: ٢٦٨)

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص ٤٨٢.

فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى:

قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾الكهف، وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر..(١)

فتعمد خرق سفينة لقوم حملوهم بلا أجر وإغراقها وسط البحر فساد ظاهر وضرر بيّنٌ جعل موسى ينسى وعده ولا يتردد في إنكاره وهو أمر لا يختلف فيه العقلاء على مقتضى ظاهر الأمر والحق الثابت وفق أسبابه المعروفة والمعهودة في الشرائع وقوانين البشر، ولكن وراء تصرف الشيخ المعلم أمر خفي وحكمة باطنة اختص هو بعلمها ورد بيانها في نهاية الرحلة وإعلان الفراق وهو أن في إعطاب السفينة مصلحة راجحة ومنفعة لأهلها لأته سبب نجاتها من غصب الملك الظالم الذي كان يتعقبهم لسلبها ومصادرتها منهم، فتحول إعطاب السفينة من مفسدة ظاهرة إلى مصلحة بينة عندئذ.

-فوائد تربوية من خرق السفينة:

أهمية المال والمحافظة عليه من اللصوص والمعتدين ولو بتفويت بعضه.

بذل النصح وإصلاح ما يمكن إصلاحه وفق المصلحة الحقيقية ولو خالفت ظواهر الأمور مما يعتقد أنه مفسدة.

الحث على الصبر عند الشدائد والمكاره وانتظار الخير والنفع من ورائها﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة.حسن الأدب مع الله واختيار أحسن الألفاظ وألطفها فلا ينسب له ما يستهجن من الفعال وإن كان كل شيء يقع بإرادته وتقديره

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، اب {وإذ قال موسى لفتاه: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا} (٤٧٢٥)، ٨٨/٦.

(فأردت أن أعيبها).

–قتل الغلام:

ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾قال: وهذه أشد من الأولى، ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾.(١).

وهذه الحادثة كسابقتها تتضمن شقاً ظاهرياً معلوم الحكم ومتفق على إنكاره وهو قتل نفس زكية بغير جرم اقترفته وفق ما يقتضيه ظاهر الأمر وحقيقة العدل، ولكن الأمر يختلف عندما ينظر فيه بعلم الباطل والمستقبل الخفي ومآلات الأحداث وهو وقوع مفسدة حقيقية في استمرار حياة الغلام لأنه سيكون مصدر إعنات وإرهاق لوالديه وقد يتسبب في دفعهما للكفر، وأن الله سيبدلهما عنه خيرا منه زكاة وأقرب رحما.....وهنا يتحول ما كان يُرى مَفسدةً ومنكرا إلى معروف ومنفعة حين يكشف الحجاب ويرفع الستار عن حقائق الأشياء في علم الله تعالى.

–دروس تربوية من قصة قتل الغلام(٢):

–تهوين أمر المصائب بفقد الأولاد أو غيرهم والرضا بقضاء الله فيهم لأنه الأعلم بالأنفع والأصلح، وأن الفاجعة والمصيبة قد تخفي وراءها خيرا ومنفعة عظيمة.

–فضل صلة الرحم وأهميتها داخل الأسرة ثم في المجتمعات البشرية وألا خير في أرحام متقاطعة أو متدابرة. تعظيم منقبة طاعة الوالدين وخطورة العقوق ولذلك استحق الولد العاق الموت رحمة بوالديه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب {وإذ قال موسى لفتاه: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا} (٤٧٢٥)، ٨٨/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦/١١، فتح الباري لابن حجر ٢٧٥/٨.

-قرية ترفض الضيافة بها جدار مائل يقيمه الضيف:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾ قال: مائل - فقام الخضر فأقامه بيده، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، ﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾قال: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ٧٨ ﴾إلى قوله:﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبرَ حتى يَقصَ اللهُ علينا من خبرهما(١).

هذه المحطة الثالثة من رحلة موسى والخضر، يبدو أمرها أهون من سابقيها وأقرب إلى الفهم البشري وتقبله، حيث مر موسى وصاحبه على قرية وطلبوا طعاما من أهلها فرفضوا ضيافتهما ومنعوهما الطعام رغم طلبهما، ووجدا جدارا مائلا آيلا للسقوط فأقامه الخضر بيده وأصلحه، فلم يتحمل موسى جفاء أهل القرية ولؤمهم في رفض ضيافة الغريب المحتاج للطعام الذي طلبوه بأنفسهم فطلب من الخضر أخذ الأجر منهم مقابل إصلاحه جدار قريتهم وإقامته بعدما كان آيلا للسقوط لأنهم لا يستحقون المعروف لرفضهم استضافتهم، ولكن الخضر علم سراً تحت الجدار وحقاً يريد وصله وتحقيقه، ما يجعله يقرر إنهاء الرحلة وإعلان الفراق بينهما.

المعاني التربوية من القصة:

يستفاد من القصة جملة من المعاني والدروس التربوية منها:

- مشروعية طلب الغريب والمسافر الطعام والضيافة من أهل البلد، وأن ذلك لا ينافي المروءة ولو كان الطالب صاحب منزلة عالية في العلم أو الفضل والجاه.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب {وإذ قال موسى لفتاه: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا}(٤٧٢٥)، ٨٨/٦.

– المبادرة إلى فعل المعروف وإصلاح الفساد في الأماكن العامة لدفع ضررها على الناس ولذلك جاء الحث على إماطة الأذى واعتباره من الصدقات وفضائل الأعمال.

– الإشادة بخلق الكرم وحسن الضيافة ومقت البخل والشح ومنع القرى فإنه لؤم ومذمة.

– مقابلة سوء المعاملة والتقصير بالإحسان وفعل المعروف من الفضائل ومكارم الأخلاق في المجتمع.

– فضل رعاية الأيتام والضعفاء وحسن معاملتهم وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية.

فضل صلاح الوالدين واستمراره بعد وفاتهم لذرياتهم (وكان أبوهما صالحا).فقد حفظ الولدان بصلاح أبيهما [1]كما جاء في حديث جابر مرفوعا للنبي ﷺ:﴿إن الله عز وجل ليحفظ بحفظ الرجل الصالح ولده وولد ولده ودويرته التي فيها والدويرات حوله، فما يزالون في حفظ من الله عز وجل﴾[2].

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١ – ١٤١٤ هـ، ٣٦٢/٣.

(٢) مسند الحميدي، أحاديث أبي بن كعب (٣٧٧) ٣٦٦/١.

المبحث الخامس: خبر ذي القرنين (حين يجتمع العلم والقوة)

وهذا ثاني سؤال سألته قريش النبي ﷺبإيعاز من أحبار يهود وهو عن رجل مكن الله له في الأرض وأعطاه ملكا عظيما متمكنا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم وقد ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها(١).

وقد اختلف المؤرخون في تعيينه اختلافاً شديداً، واشتبه أمره بين الملك المؤيد أو النبوة كما جاء في حديث

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:﴿ما أدري أتُبّعُ لعينًا كان أم لا، وما أدري ذو القرنين نبيًّا كان أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا﴾(٢).

وصف ذي القرنين في القرآن الكريم:

وقد نقل القرآن الكريم بعض خلاله وأفعاله وما تحقق على يديه يمكن إيجازها في الآتي(٣):

١. أنه كان ملكاً صالحاً عادلا.

٢. أنه كان ملهماً من الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ١٩٠/٥، وانظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٩٠/١٨-٩٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٣٩/٥.، أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، (٢١٧٤)، ١٧/٢، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٥٩٥) ٥٧٠/٨.

(٣) التحرير والتنوير (١٦/ ٢٠)

٣. أن ملكه شمل أقطاراً شاسعة.

٤. أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً وهو عين حمئة.

٥. أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطاً بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه.

٦. أنه أقام سداً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

٧. أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فساداً وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

٨. أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء.

٩. أن خبره خفي دقيق لا يعلمه إلا الأحبار علما إجماليا كما دل عليه سبب النزول.

الدروس التربوية المستفادة من قصة ذي القرنين(١):

ويمكن استخلاص بعض الدروس التربوية من هذه القصة أهمها ما يلي:

١. أهمية اجتماع القوة والصلاح في الحاكم ليكون مصدر صلاح وإصلاح للبشرية وليس سبب فساد وتدمير وإهلاك الحرث والنسل كما هو صنيع كثير من القادة والملوك الذين حكموا في الأرض.

٢. وجوب منع الفساد والحجر على المفسدين ومنع انتشار فسادهم

٣. معاقبة المفسدين ولو بحبسهم لمنع ضررهم عن الناس.

٤. تسخير الأسباب المادية والمعنوية لنفع البشرية وتحقيق مصالحها

٥. أهمية التعاون والتآزر بين أهل الصلاح والخير لنشر الفضائل ومكارم الأخلاق ومنع الرذائل والفساد في الأرض.

٦. ضم الجهود وتكاتف المصلحين لصد أي فساد جماعي وعدم الاكتفاء بالجهد الفردي.

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٤٠.

٧. حاجة الجهد الإصلاحي للتنظيم والتنسيق واستغلال كل الوسائل المتاحة.

-تعقيبات القرآن على أحداث القصة:

ختمت أحداث القصة بخبر إنشاء ذي القرنين سدا يمنع خروج يأجوج ومأجوج ليفسدوا ويعتدوا في الأرض

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾الكهف وإلى غاية آخر آية بالسورة وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾الكهف

فكان من استثمار الواقعة تشبيه حال تموج يأجوج ومأجوج واضطرابهم تحت الردم وتهاوشهم فيما بينهم بحال تموج الناس في المحشر، تذكيرا للسامعين بأمر الحشر وتقريباً بحصوله في خيال المشركين. فإن القادر على جمع أمة كاملة وراء هذا السد، بفعل من يسره لذلك من خلقه، هو الأقدر على جمع الأمم في الحشر بقدرته، لأن متعلقات القدرة في عالم الآخرة أعجب؛ لأن من أهم أغراض هذه السورة إثبات البعث(١).

ثم ختمت السورة ببيان حقيقة الكافرين في الدنيا من ضلال سعيهم وتكذيبهم رسل الله والاستهزاء بآياته، ووصف عاقبتهم وجزاءهم في الآخرة من حبوط أعمالهم ودخولهم جهنم بسبب ذلك، ثم يثني بذكر مصير المؤمنين الصالحين بخلودهم في الجنة نعيمها، وختتم السورة بالتذكير بحقيقة الرسول الذي جاء بشيرا ونذيرا لهؤلاء وأنه بشر يوحى إليه يدعو لتوحيد الله وعبادته.

وهذه الخاتمة لا تشكل ثمرة لخبر ذي القرنين فحسب، بل تصلح ثمرة لكل القصص السابقة التي عرضتها السورة تتويجا لفهمها وإدراك معانيها واستثمار

(١) التحرير والتنوير ١٦/٤١.

أبعادها ومقاصدها، ولذلك كان آخر توجيهات السورة الأمر بالعمل الصالح والصدق والإخلاص مع الله تعالى وبذلك تستقيم حياة العبد في الدنيا وتتحقق النجاة والسعادة في الآخرة.

الخاتمة:

وتتضمن أهم نتائج البحث:

يمكن تسجيل أهم النتائج المستفادة من عرض البحث وأهمها ما يلي:

١. إن القصة أحد لأهم الوسائل التربوية التي انتهجها القرآن الكريم لترسيخ القيم الأخلاقية وفي التعليم والتربية.

٢. تعدد المواضيع التربوية التي تزخر بها سورة الكهف وتنوع أساليبها وأغراضها.

٣. إن الغرض الأساس من القصة القرآنية إنما هو العظة والاعتبار وليس التشويق والتسلي.

٤. مدى حاجة المجتمعات البشرية للمبادرة بالنصح والإصلاح مع كثرة الفساد والمفسدين

٥. الاستعانة بالعزلة والابتعاد عن المفسدين لإصلاح النفس أو الحوف عليها من الفتن في بعض الحالات.

٦. أهمية مخالطة الصالحين ومصاحبتهم في العملية التربوية بغية التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

٧. أهمية الحوار ودوره الإيجابي في الإقناع ودفع الشبه وإقامة الحجج وتضييق دائرة الخلاف.

٨. التحذير من خلق الغرور والإعجاب بالنفس أو المال وسائر متاع الدنيا، والحث على التواضع وخفض الجناح.

٩. تذكير الإنسان بضعفه وشدة حاجته لنعم الله ليتعامل معها بالشكر والعرفان لا الجحود والكفران.

١٠. التحذير من عواقب كفران النعم أو جعلها سبباً للاستكبار والطغيان.

١١. ربط المشاهد الدنيوية ووقائعها بالأحداث الكبرى يوم القيامة للاعتبار والإيمان وقوة اليقين.

١٢. تشوف نفوس الكبار للاستزادة من العلم والرحلة في سبيله.

١٣. حسن أدب المتعلم مع المعلم من أسباب نجاح العملية التربوية.

١٤. السؤال أحد أهم مفاتيح العملية التربوية والتعليمية.

١٥. أهمية خلق الصبر على المعلم وفي الشدائد وتهوين أمر المصائب والترغيب في الرضا بالقضاء والقدر.

١٦. فضل صلة الأرحام في التماسك الاجتماعي والإنساني وتعظيم منقبة البر بالوالدين.

١٧. التحذير من العقوق وخطورة عواقبه.

١٨. فضل رعاية الأيتام والفئات الضعيفة في المجتمع وحفظ حقوقهم.

١٩. الإشادة بخلق الكرم، والضيافة، وذم البخل والشح.

٢٠. أهمية اجتماع القوة والعلم والصلاح في القائد ليتمكن من نشر الصلاح ومجابهة الفساد وقمع المفسدين.

٢١. تسخير كل الوسائل المتاحة لنشر الخير والصلاح.

٢٢. أهمية التعاون والتآزر بين أهل الخير والفضل لإصلاح المجتمع ومعالجة أسباب الفساد والانحراف.

التوصيات:

يلاء مزيد من العناية والاهتمام بالقرآن الكريم لاستنباط ما يكتنزه من أسرار في كل المجالات وخاصة ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي والسلوكي والإنساني والحضاري والاهتداء بهديه في التربية والتعليم وهداية الناس.

١. التركيز على القيم العليا التي جاء بها القرآن الكريم واعتبارها محور المبادئ الأخلاقية الإنسانية في محاولة إعادة البشرية لفطرتها الأولى التي انحرفت عنها

وابتعدت عن جوهرها بفعل الحضارة الغربية أو تأثير كثير من الأفكار والمذاهب الفلسفية العالمية.

٢. ضرورة إعادة ترتيب سلم القيم الإنسانية التي جاء بها القرآن الكريم بما يتوافق مع المتغيرات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية وينسجم مع مقاصد الشريعة ومبادئها العليا.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه،

والحمد لله رب العالمين.